الأهرام

المصدر :

التاريخ :

# اتفاق غزة - اريحا والسعي الى الهلاك

يا رياح الحنين والغضب ، هل ندخل رواق التورط السياسي ، ومخاطره المخيفة... في زمن مكفن بغيوم الخلافات الفلسطينية والعربية، ونحن نشهد مهرجان الخديعة غزة واريحا في البيت الابيض الاميركي والافق منحن والافق مائل.

صدمة اطلقها زلزال الاتفاق ، وفلسطين في جرحها تسمع جدران حيفا ، واريحا، ويافا والقدس ، والضفة الغربية بكاملها نشيجا مختنقا، ويسقط الرعب على اطفالنا، ورجالنا، ونسائنا، وامالنا ، وافراحنا في هذا العصر الرخوي الرديء ، والذي يبشرون فيه بالنظام العالمي الجديد الذي تقود فيه مستقبل الاوطان الولايات المتحدة الاميركية بنظامها الراسمالي الصلد ، وهي متخمة بحمى ازماتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والانسانية في سياج من شرائع الحرية كما يفهمها صناع القرار في البيت الابيض ، خاصة بعد استفرادها في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي سابقا ، وما ال اليه حاله بكل قوته وجبروته ، وما احرزه من تقدم حقيقي ( وهنا نود ان نشير الى ان ما اصاب الاتحاد السوفيتي من انهيار مد الينا والى دول العالم الثالث خيطا هائلا من الضياء حيث انه ببيروقراطيته كان وراء الانقلابات العسكرية، ودعم قيادات الدم والدكتاتوريات وازلام الشعارات العربية ، وتصدير الدبابة والمدفع والمختبرين والاستقطاب والبيروقراطية بدل التقنية والغذاء والحرية والديمقراطية ، والحقوق والقوانين. فم يابس على ضرع يابس في بلاد الخصب والثروات الطبيعية والبشرية الخيالية.

فنحن ابتداء لسنا ضد السلام الذي يخترق سجون الموت والحروب والدمار والدماء بل سلام يغسل المدار من امراضنا المرعبة ، ويولد فجر العقل الواعي ، وينضج عمر الحرية ويأتي تاريخ العشب ، ونضع خطانا في ابتداء العصر، وبلادنا تعود تثمر ، وتزهر ويموت عصر الجوع والجهل والغربة ، وتتمزق السياط والخرائب والسجون ، ويكسر العقل جدرانه ويستنشق الشمس.

وامام هذه الغبطة الساطعة نرى حشدا من المقالات والتحليلات لكتاب اعزاء وزملاء واساتذة احباء يزفون الينا بشرى الانتصار في اتفاق غزة واريحا ، ويطلبون منا دعمه ونتحد في سورة الفرق فيه (وانه نهاية مسرحية تراجيدية دامت حوالي خمسين عاما ، وانه لاول مرة في تاريخ الفلسطينيين يمارسون حقهم في الاستقلال ، وانه يجب دعم الفلسطينيين ، وقرارهم دعما تاما) (وان اسرائيل تفقد دور الشرطي بعد انهاء الحرب الباردة ، وتكاد تتحول من عقيد للسياسة الاميركية الى عبء عليها.. ويتساءل الاستاذ محمد الصقر : ما بالنا نفتقد حس الزمن وحس الاتجاهات، ولا نفقد الكثير من حسابات رموز العالم ؟) ويذهب الدكتور حسن الابراهيم الى ابعد من السلام القادم على الورق حين يقول : (هناك حاجة ماسة لنظام امن وتعاون شرق اوسطي على غرار مؤتمر الامن والتعاون الاوروبي.. يجب ان يضم مؤتمر الامن والتعاون لدول الشرق الاوسط جميع البلدان العربية بالاضافة الى اسرائيل وايران وتركيا، ويتم بواسطته مناقشة سلة من المشكلات والقضايا كالامن والتعاون الاقتصادي ، ومصادر المياه والبيئة ، وحقوق الانسان ، وتكون الشروط الاساسية للعضوية في المؤتمر هي القبول بمبدأ حل الصراعات بالطرق السلمية).

بل ان الزميل غازي الجاسم بنبوءة غريبة (فبعد بضعة اشهر سيكون بامكاننا ان نسافر من بيروت الى القاهرة ، وسنتمكن من الخليج الى اوروبا جوا في مدة اقصر، وان مطار غزة القادم سيضحي ذا اهمية قصوى للمواصلات الجوية والبرية وكذلك مطارات اسرائيل.. عالم جديد يولد، ولاول مرة تكاد اسرائيل تكون دولة).

يا رياح الحنين والغضب هكذا بجرة قلم يسقط التاريخ وتفككونه، وتعيدون تفصيله وفق اخر زي اميركي يصدره البنتاغون ؟ .. هكذا تنفرش الاوطان فيه للمقايضة والبيع، وسيلان الدم على الخرائط تحت الاحذية الثقيلة، وتنزع من الرؤوس الذاكرات ولا مفر ، فالوطن هو الذبيحة والعنق واحد ، وبد الجزار واحدة ، والبيادق تموت.

---

بقلم : خالد عبد العزيز السعد

---

لذلك نود ان نسجل هذه الملاحظات العابرة على مقولات اساتذتنا الاحباء وهي : ١- بادىء ذي بدء ان الباحث عن السلام مع اسرائيل كمن يفتش عن ابرة في رمال الصحراء. ومصيبة العرب هي انهم خرجوا الى الصراع الدولي والصهيوني وهم يؤمنون بالحق وبشرف الكلمة، ولكنهم واجهوا في الغرب رجالا يختلفون عنهم كثيرا.. رجالا يفكرون بعقول ليست عقولنا ( نشدد هنا ليست من قصور ) وحسن نوايانا ، وينطقون بالسنة ليست السنتنا .. فللعرب لغتهم، ولممثلي السياسة في الغرب لغات اخرى. لها قواعد ثقافية، ويشكل الفكر الصهيوني ركنا من اركانها ، وهي قواعد ملموسة منذ بداية الصراع ،وحتى اتفاق غزة ـ اريحا ، فقد نجحت الحركة الصهيونية في تاسيس ( دولة اسرائيل) التي اقيمت على الاراضي التي خصصت للدولة اليهودية في قرار التقسيم رقم ( ١٨١ ) لعام ١٩٤٧ ثم وسعت حدودها في الحروب المتتابعة حتى ضمت سلطتها اداريا وعسكريا كل فلسطين ، واراضي عربية في سوريا ولبنان ، بينما لم يتمكن العرب الفلسطينيون من تاسيس دولتهم في فلسطين على الرغم من امتلاكهم لنفس الاساس القانوني الدولي الذي مكن السلطات الصهيونية من اعلان ( دولة اسرائيل ) عام ١٩٤٨.

٢ - ان في الايديولوجية الصهيونية حدود الدولة المكتسبة اقل من حدود ( الوطن القومي ) الذي يمتد ليشمل ما بين الفرات والنيل. ومن هنا تاتي مؤشرات الخطر المقبل.. فكل المشاريع الصهيونية ترمي الى تنفيذ لما يسمى ارض اسرائيل الكبرى باستيعاب اليهود المهاجرين الجدد لترسيخ اقدام الاحتلال الصهيوني ، وتقوية ملامح الدولة اليهودية التي يقلقها العامل الديمغرافي ، وقد نجحت القيادة الصهيونية في ادخال مئات الالوف من اليهود الاوروبيين المنظمين والمتعلمين والمدربين على مهارات وفنون واختصاصات مختلفة.. وهو عامل جديد دخل في ميدان الصراع الصهيوني الفلسطيني بل في الصراع الصهيوني العربي كاملا.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

٣ . ان اتفاق غزة واريحا الذليل كان نتيجة للضعف العام السياسي والعسكري والمالي لمنظمة التحرير الفلسطينية في ضلوعها باجتياح بيروت وحرقها او في غزو الدكتاتور العراقي المتاله للكويت واستباحتها . وهو ايضا في موافقة بعض قيادة المنظمة ، وبعض قيادات الدول العربية على استحياء ، وهذا الاتفاق بكل المعايير اقل بكثير مما عرضته اتفاقيات ( كمب دايفيد ) منذ سنوات طويلة ، ومشروع روجرز قبله. ثم جاءت السرية في تبني مسار التفاوض وبلهفة من عرفات تحديدا.. وبعيدا عن المؤسسات التشريعية الفلسطينية واحتكار القرارات المصيرية بيد فئة قليلة ، وهذا المنهج هو الذي سيطغى على طبيعة العلاقة بين السلطة الذاتية ، وسلطة الاحتلال حيث تغيب المراقبة الشعبية او اية مؤسسات عنها سواء منتخبة او معينة . ومن هنا فهي تحكم على نفسها بالفشل منذ البداية ، مثل بداية كل القيادات العربية التي توهمت ان القضية قضية سلاح ، واناشيد حماسية وان الطريق الى فلسطين هو في تشييد البيروقراطيات الصلدة. وقد فاتهم ان جوهر القضية هو اعادة بناء الامة العربية ليس بالشعارات والاناشيد التي تشبه اقراص النوم بل بالعمل الجاد وبالحريات التي تبني الحضارة والامم القوية مثل اوروبا واميركا واليابان.

٤ . اما الفخ الحقيقي والمخيف فهو في ان منظمة التحرير الفلسطينية وهي منظمة مثل باقي الانظمة العربية قد اكتسبت كيانا مستقلا حتى عن فلسطين ، وهكذا اوصلنا عرفات وزمرته الى طريق الذلة وخجل الموت في رسالته الى رابين والتي يقول فيها «ان منظمة التحرير تعترف بحق اسرائيل في الوجود متمتعة بالسلام والامن ، كل ذلك مقابل اعتراف اسرائيل ليس بحق وجود دولة فلسطينية ، ولكن مقابل اعترافها بمنظمة التحرير البيروقراطية.

وهنا نريد ان نوضح ان الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود هو امر مختلف عن الاعتراف بدولة اسرائيل ، لان الاخير امر سياسي اما اعتراف منظمة التحرير بحق اسرائيل في الوجود فهو امر يعني انها تنكر على الشعب الفلسطيني حقه في وطنه وارضه. فلو اقر الشعب الفلسطيني بهذاالاعتراف فهذا يعني انه تخلى عن التمسك باسس القيم الانسانية التي تحدد له هويته وتاريخه ومكانته بين شعوب امته والعالم، وهو ان فعل ذلك فانما يفعله احباطا او رهبة من اسرائيل او رغبة في بريق المعونات الاقتصادية التي تنتشله من حافة الجوع، وهو ان فعل فانما يكون قد قضى على نفسه بالموت.

فالمعونات الدولية مهما كان حجمها تمنح الممنوح للمانح . وليس هناك دولة من دول العالم الثالث بلغت جزءا كريما من العيش عن طريق المعونات الاجنبية، ولو كان الامر كذلك لحكم الشحاذون العالم.. فالاعتماد الكلي على الذات هو الذي يبني الامم وحضارتها.

٥ . ان مكمن الرعب في هذا الاتفاق الهزيل والذليل انه يلقي بظلاله على كامل فلسطين والدول العربية . فالنظام الاسرائيلي مثل حالة الفوس المشدود قوة وحيوية وفيه الانسان الصانع والفاعل والعارف والمنتج ، ويتمتع باقتصاد حر متقدم بتقنية عالية وبيمقراطية وقوانين تنظم اوجه الحياة. ومتخم بالسلاح والجامعات والمدارس ومعاهد الدراسات الاستراتيجية والصروح العلمية تراقده في ذلك اكبر دولة مهيمنة في العالم ، وتمده بكل اسباب التوسع الاستيطاني والغزو الفكري الذي من اعمدته مناحيم بيغن وهو رمز سياسي ورمز ثقافي وبن غوريون وحزبه الاشتراكي فقد كان شعارهم العبارة التالية : «بالدم والنار سقطت يهوذا وبالنار والدم ستنهض يهوذا ثانية» وزودوا الحركة الصهيونية بالغطاء الفكري المناسب.

بينما في الجانب الاخر ، نرى دولا عربية يسودها التفكك والتناحر، وتحكم معظمها اعراف القبيلة والعشيرة بلاد لا تعرف الحرية الا كلاما اجوف تحكم بالقمع والاستبداد والبيروقراطية والمخابرات والرشوة والفساد.. انحطاط من فسيفساء في تبرج مضحك ونصف سكانها على حافة الجوع والجهل والقهر والارهاب ، وعشرات الملايين منهم يعيشون ليومهم ، ولا يعرفون غدهم وهويتهم ومستقبلهم معلق في الهواء.

فمن السهل اختراق هذا الوطن المسجى بالفراغ والغربة واستلابه ثقافيا واقتصاديا وسياسيا ، وهذه فرصة اسرائيل التاريخية عندما يحل السلام لتدمير الانسان العربي بكل ما يملكه المجتمع الصهيوني من ثقافة واعلام وتقنيات عالية تحمل معها فكر المجتمع الصهيوني ، وما يريد غرسه من مفاهيم في عقول مستعدة ومهيأة للاستقبال والاقتناع باية معلومة جديدة.

ان التاريخ علمنا ان عصر الراسمالية الفتية فرض سلطته على قارات ثلاث وسخر خيراتها لصالحه ولتصوراته واهدافه ، وغير بناها وادخلها في تاريخ جديد هو مركزه وذاته وصانعه وهي مادته وموضوعه.

ففي عصر السلام الاسرائيلي سوف لن يستطيع الفلسطينيون السيطرة على مصيرهم حيث تسقط المقاومة ويضيع الانسان العربي ويفقد هويته التاريخية ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

والسؤال الذي في رحمة الجواب هو : هل نحن مؤمنون بتاريخ العالم؟

انها لحظة يتفجر فيها الصمت! .. لحظة تتطلب من مثقفينا وساستنا واساتذتنا المختصين في العالم العربي قاطبة ان يقفوا عند هذه الهوة التاريخية ويحللوها ويقفوا على اثارها ويتخذوا موقفا كليا من هذا الاتفاق الذي يهدد تاريخ الانسان العربي ومصيره ؟

فالعرب كم كبير ، بشرا ومساحة ونفطا ومالا وربما اسلحة ، ولكن الواقع الفعلي ليس مادة بل هي معقولية كونية ، فان وضعنا انفسنا خارجها في هذا العقد الاخير من القرن العشرين فهذا هلاكنا.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية